تفسير كلّ آية بجملة

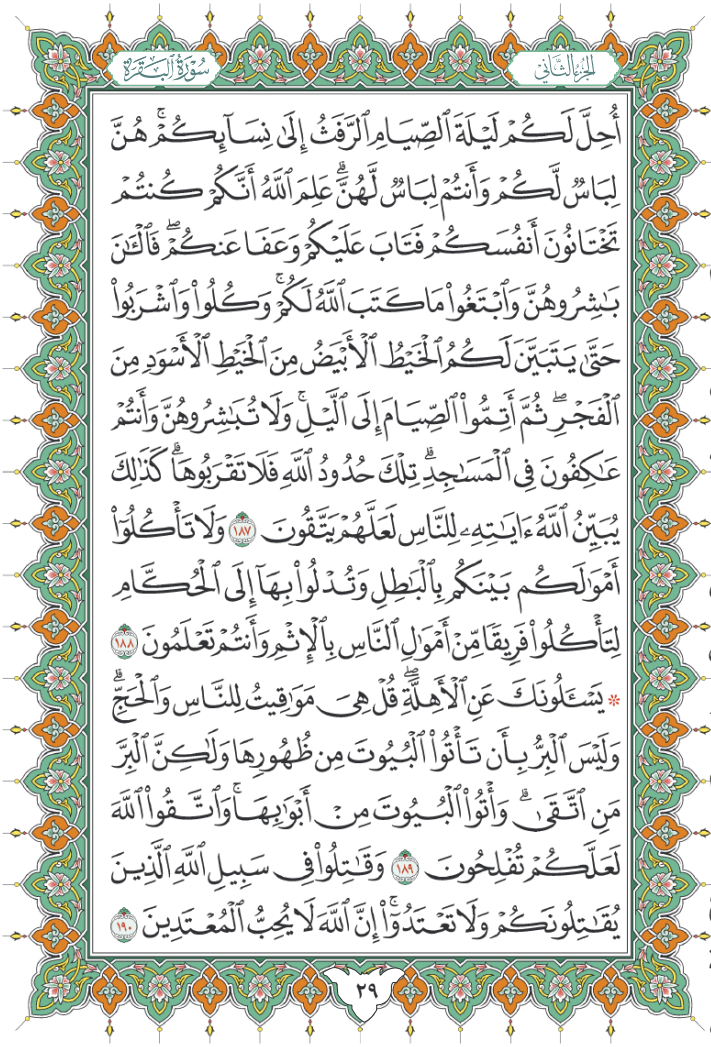

﴿١٨٧﴾ إنّ الله أحلَّ لكم ليلة الصّوم إتيان نسائكم، لاختلاطكم بهنّ واختلاطهنّ بكم في النّهار والمبيت، ولعسر ابتعادكم عنهنّ وتخفيفًا عنكم. وقد علم الله أنّكم كنتم تنقصون حظّ نفوسكم وتظلمونها، فتحرمون عليها إتيان النّساء في ليل رمضان فتاب عليكم من الغلوّ وعفا عنكم، والآن وقد تبيّن لكم حِلُّ ذلك، فلا تتحرّجوا من مباشرتهنّ، وتمتّعوا بما أباحه الله لكم، وكلوا واشربوا في ليل رمضان حتّى يظهر لكم نور الفجر، متميّزًا من ظلام اللّيل، كما يتميّز الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وإذا ظهر ذلك فصوموا وأتمّوا الصّيام إلى غروب الشّمس.

وإذا كان الصّيام من العبادات التي يجب التّفرغ لها والتّجرّد فيها من شهوات النّفس ومقاربة النّساء في نهار الصّوم، فكذلك عبادة الاعتكاف في المساجد وملازمتها، توجب الخلوّ لها وعدم التّمتّع بالنّساء ما دام المرء ملتزمًا بها. وما شرع الله لكم في الصّوم والاعتكاف من حدود وضعها الله لكم، فحافظوا عليها ولا تقربوها لتتجاوزوا أوامرها، وقد أوسع الله في بيانها للنّاس على هذا النّحو ليتّقوها ويتجنّبوا تبعاتها.

﴿١٨٨﴾ وقد حرَّم الله عليكم على الدوام أكل مال غيركم دون وجه حقّ، فلا يستحلّ أحدكم مال غيره إلا بوجه من الوجوه التي شرعها الله، كالميراث والهبة والعقد الصّحيح المبيح للملك، وقد ينازع أحدكم أخاه في المال وهو مبطل، ويرفع أمره إلى الحاكم أو القاضي ليحكم له وينتزع من أخيه ماله بشهادة باطلة، أو بيّنة كاذبة، أو رشوة خبيثة، فبئس ما يفعل وما يجرُّ على نفسه من سوء الجزاء.

﴿١٨٩﴾ ويسألك قوم عن الهلال: يبدو دقيقًا مثل الخيط ثمّ يزيد حتى يكتمل ويستوي، ثمّ لا يزال ينقص حتّى يعود كما بدأ، ولا يكون على حالة واحدة كالشّمس. فما وراء هذا التّغير، حتّى صار في كلّ شهر هلال وصارت هناك أهلّة؟ فقل لهم: إنّ لتكرار هذه الأهلّة واختلاف نموّها حِكَمًا ومصالح دينيّة ودنيويّة، فهي أمارات تحدّد أوقات المعاملات في معاشكم، وتعيّن أوقات الحجّ الذي هو من أركان دينكم، ولو استقرّ الهلال على حاله كالشّمس ما استقام لكم توقيت معاشكم وحجّكم، وليس جهلكم بحكمة اختلاف الهلال مدعاة للشكّ في حكمة الخالق، وليس من البرّ أن تأتوا البيوت من ظهورها، متميّزين بذلك عن النّاس، ولكنّ البرّ هو تقوى القلوب وإخلاصها وأن تأتوا البيوت من أبوابها كما يأتي كلّ النّاس، وأن تطلبوا الحقّ والدّليل المستقيم، فاطلبوا رضا الله، واتّقوا عذابه، وارجوا بذلك فَلاحَكُمْ وفوزكم ونجاتكم من عذاب النّار.

﴿١٩٠﴾ ومن تقوى الله تحمّل المشاقّ في طاعته، وأشدّ المشاقّ على النّفس هو قتال أعداء الله. ولكن إذا اعتُدي عليكم فقاتلوا المعتدين، وقد أذن لكم بردّ اعتداءاتهم، ولكن لا تعتدوا بمبادأتهم أو بقتل من لا يُقاتل ولا رأي له في القتال، فإنّ الله لا يحبّ المعتدين.

الآيات ١٨٦-١٨٧
أحكام الصّيام

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٨٦): نزلت في سائل سأل النّبيّ ﷺ فقال: يا محمّد، أقريبٌ ربُّنا فنُناجيه، أم بعيدٌ فنُناديه؟ فأنزل الله ﷻ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[1].

سبب نزول الآية (١٨٧): روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "... وَكَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيَأْتُونَ النِّسَاءَ مَا لَمْ يَنَامُوا، فَإِذَا نَامُوا امْتَنَعُوا، ثمّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ صِرْمَةُ كَانَ يَعْمَلُ صَائِمًا حَتَّى أَمْسَى، فَجَاءَ إِلَى أَهْلِهِ فَصَلَّى الْعِشَاءَ ثمّ نَامَ فَلَمْ يَأْكُلْ، وَلَمْ يَشْرَبْ حَتَّى أَصْبَحَ فَأَصْبَحَ صَائِمًا... وَكَانَ عُمَرُ قَدْ أَصَابَ مِنَ النِّسَاءِ مِنْ جَارِيَةٍ أَوْ حُرَّةٍ، بَعْدَمَا نَامَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾"[2]. وهذا يدلّ على أنّه حين فرض الصّيام، كان كلّ إنسان يجتهد فيما يراه أحوط وأقرب للتّقوى، حتّى نزلت هذه الآية.

المعنى العام

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3]

يقول الحقّ ﷻ: في جواب رجل سأل هل قريب ربّنا فنناجيه، أو بعيد فنناديه؟ - فالمناجاة تكون للقريب والمناداة تكون للبعيد-فنزل قوله ﷻ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ فقل لهم: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ إليهم من أرواحهم لأشباحهم، ومن وسواس قلوبهم لقلوبهم، علمًا وقدرة وإحاطة، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ سرًّا أو جهرًا، ليلًا أو نهارًا على ما

(١) ذكره الطبريّ في تفسيره، عن السجستانيّ، باب: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإذا سَألَكَ عبادي...﴾، ج٣، ص٢٢٢.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن معاذ بن جبل، حديث رقم: ٣٠٨٥، كتاب: التفسير، باب: بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة، الحديث صحيح الإسناد.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

يليق بحاله، في الوقت الذي نريد، لا في الوقت الذي يريد، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطّاعة، أسلُك بهم طريق المعرفة، ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ إنّي قريب منهم فليستحيوا منّي حياءَ من يرى أنّي معه حيث كان، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ إلى سلوك طريقتي ودوام محبّتي.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لا نَصْعَدُ شَرَفًا، وَلا نَعْلُو شَرَفًا، وَلا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا» ثمّ قَالَ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»"[1].

وروي عن أبي هريرة ﷺ أنّ النّبيّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يقول: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»[2].

وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3]، وقوله لموسى وهارون ﷺ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[4]. والمراد أنّه تعالى لا يخيّب دعاء داع، ولا يشغله عنه شيء، بل هو سميع الدّعاء، ففيه ترغيب في الدّعاء وأنّه لا يضيع لديه تعالى.

وروي عن أبي سعيد ﷺ أنّ النّبيّ ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَأْثَمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ»[5]، وعن عبادة بن الصامت ﷺ، أنّ النّبيّ ﷺ قال: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ...»[6] وعنه ﷺ قال: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»[7]، وقال ﷺ: "«لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»[8]، وروي عن عبد الله بن عمرو ﷺ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ تعالى، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ»[9].

وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدّعاء، متخلّلةً بين أحكام الصّيام، إرشادٌ إلى الاجتهاد في الدّعاء عند إكمال العدّة، بل وعند كلّ فطر لما رواه عبد الله بن عمرو ﷺ، قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ» فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو إِذَا أَفْطَرَ دَعَا أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَدَعَا"[10]، كما روي عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ»[11]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي موسى، حديث رقم: ٦٦١٠، كتاب: الدعوات، باب: لا حول ولا قوة إلا بالله.
(٢) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٣٨٨، كتاب: أبواب الزهد، باب: ما جاء في حسن الظنّ بالله، الحديث حسن صحيح.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة طه، الآية: ٤٦.
(٥) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي سعيد، حديث رقم: ١٨١٦، كتاب وباب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، الحديث إسناده صحيح.
(٦) رواه التّرمذيّ في سننه، عن عبادة بن الصامت، حديث رقم: ٣٥٧٣، كتاب: أبواب الدعوات، باب: في انتظار الفرج وغير ذلك، الحديث حسن صحيح.
(٧) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٣٤٠، كتاب: الدعوات، باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل.
(٨) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٧٣٥، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: بيان أنّه يستجاب للداعي ما لم يعجل.
(٩) رواه أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم: ٦٦٥٥، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
(١٠) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، عن عبد الله بن عمرو، حديث رقم: ٢٣٧٦، كتاب: أحاديث عبد الله بن عمرو بن العاص، باب: شعيب بن محمّد عن عبد الله بن عمرو، الحديث حسن.
(١١) رواه ابن ماجة في سننه، عن عبد الله بن عمرو، حديث رقم: ١٧٥٣، كتاب وباب: أبواب الصيام، الحديث حسن.

حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[1]. قوله ﷺ: «الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ» أي قبل الغروب من كلّ يوم، فالدّعاء مستجاب فتدعو الله تعالى وتسأله أن يثبّتك على التّوبةِ مِن الذّنوب الّتي أقلعت عنها في رمضان وبعد رمضان. وكذلك تتحرّى أوقات استجابة الدّعوات كالثُّلُثِ الأخير من اللّيل.

قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ فإذا سألك خواصّ المؤمنين عنّي فبماذا تجيبهم؟ ليس هذا الجواب بلسانك يا محمّد، فأنت وإنْ كنتَ السّفير بيننا وبين الخلْق، فهذا الجواب أنا أتولّاه ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ رَفَعَ تعالى الواسطة من الأغيار عن القربة، فلم يَقُل قل لهم إنّي قريب بل قال ﷻ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.
ثمّ بَيَّن تعالى ماهيّة تلك القربة، حيث تقدَّس الحقُّ سبحانه عن كلّ اقتراب بجهة أو ابتعاد بجهة أو اختصاص ببقعة، فقال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ وإنّ الحقّ سبحانه قريب- من الجملة والكافّة- بالعلم والقدرة والسّماع والرؤية، وهو قريب من المؤمنين على وجه التّبرية والنّصرة وإجابة الدّعوة، وجلَّ وتقدَّس عن أن يكون قريبًا من أحد بالذّات والبقعة؛ فإنّه أحديٌّ لا يتّجه في الأقطار، وعزيزٌ لا يتّصف بالكُنْهِ والمقدار.
لم يَعِدْ إجابة من كان باستحقاق زهد أو في زمان عبادة، بل قال ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أي متى دعاني، وكيفما دعاني، وحيثما دعاني، ثمّ قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ هذا تكليف، وقوله ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ تعريف وتخفيف، قدَّم التّخفيف على التّكليف، وكأنّه قال: إذا دعوتني عبدي أَجَبْتُك، فأَجِبني أيضًا إذا دَعَوْتُك، أنا لا أرضى بِرَدِّ دعائِك فلا تَرْضَ عبدي بردّي من نفسك، فلا إجابتي لك بالخير تحملك عبدي على دعائي، ولا دعاؤك يحملني على إجابتك. ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ فليصدّقوا وليثقوا فيّ، فإنّي أجيب من دعاني. ثمّ ختم تعالى الآية فقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي ليس القصد من تكليفك ودعائك إلا وصولك إلى إرشادك.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

يقول الحقّ ﷻ في نسخ ما كان في أوّل الإسلام من تحريم الجماع في رمضان بعد العشاء أو النّوم، ثمّ إنّ عمر رضي الله عنه باشر امرأته بعد العشاء، فندم وأتى رسول الله ﷺ يعتذر إليه، فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء، فنزل قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ قبل الفجر، ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ﴾ الإفضاء إلى نسائكم بالجماع، وعبّر بالرّفث- كناية عن الجماع- تقبيحًا لما ارتكبوه. فكانت هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين، ورَفْع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنّه كان إذا أفطر أحدهم إنّما يحلّ له الأكل والشّرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلّى العشاء حرم عليه الطّعام والشّراب والجماع إلى اللّيلة القابلة، فوجدوا من ذلك مشقّة كبيرة.

(١) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٣٥٩٨، كتاب: أبواب الدعوات، باب: في العفو والعافية، الحديث حسن.

ثمّ علّل تعالى التّحليل بقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ أي إنّما أبحت لكم الجماع لقلّة صبركم عليهنّ، حتى تعانقوهنّ ويعانقنكم، فيشتمل بعضكم على بعض، كاشتمال اللّباس على صاحبه. قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: يعني ((هُنَّ سَكَنٌ لَّكُمْ، وَأَنْتُمْ سَكَنٌ لَهُنَّ))[1]، وقال الربيع بن أنس رضي الله عنه: هنّ لحاف لكم وأنتم لحاف لهنّ، وحاصله: أنّ الرّجل والمرأة كلٌّ منهما يخالط الآخر ويماسّه ويضاجعه، فناسب أن يرخّص لهم في المجامعة في ليل رمضان لئلّا يشقّ ذلك عليهم ويُحرجوا.

وكان السبب في نزول هذه الآية ما روي عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: "كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا، فَحَضَرَ الإِفْطَارُ، فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لا وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَنَزَلَتْ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾[2]"[3]، وقال أيضًا: "((لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ، وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ))، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾[4]"[5].

وقوله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي تخونونها فتعرّضونها للعقاب، وتحرمونها من الثّواب، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ لمّا تبتم واعترفتم بما اقترفتم، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ فمحا ذنوبكم، ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ والمباشرة هي إلصاق البشرة بالبشرة، كناية عن الجماع، ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من النّسل، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أباح تعالى الأكل والشّرب مع ما تقدّم من إباحة الجماع، في أيّ اللّيل شاء الصّائم ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ إلى أن يتبيّن ضياء الصّباح من سواد اللّيل، وعبّر عن ذلك بقوله ﴿الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾، ورفع اللّبس بقوله ﷻ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ كما جاء في الحديث، عن سهل بن سعد قال: "أُنْزِلَتْ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ وَلَمْ يَنْزِلْ ﴿مِنَ الفَجْرِ﴾، فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الخَيْطَ الأَبْيَضَ وَالخَيْطَ الأَسْوَدَ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيَتُهُمَا، فَأَنْزَلَ اللهُ بَعْدُ: ﴿مِنَ الفَجْرِ﴾ فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"[6]. عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: "لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ قَالَ: عَمَدْتُ إِلَى عِقَالَيْنِ أَحَدُهُمَا أَسْوَدُ، وَالْآخَرُ أَبْيَضُ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادِي، قَالَ: ثُمَّ جَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمَا فَلَا تُبِينُ لِي الْأَسْوَدَ مِنَ الْأَبْيَضِ، وَلَا الْأَبْيَضَ مِنَ الْأَسْوَدِ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي صَنَعْتُ، فَقَالَ: "إِنْ كَانَ وِسَادُكَ إِذًا لَعَرِيضًا، إِنَّمَا ذَلِكَ بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ"[7]، وهكذا وقع في رواية البخاريّ مفسّرًا بهذا، فأخرج عن عديّ قال: "أَخَذَ عَدِيٌّ عِقَالًا أَبْيَضَ، وَعِقَالًا أَسْوَدَ حَتَّى كَانَ بَعْضُ اللَّيْلِ نَظَرَ فَلَمْ يَسْتَبِينَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: جَعَلْتُ تَحْتَ وِسَادِي عِقَالَيْنِ، قَالَ: ((إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ أَنْ كَانَ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ، وَالأَسْوَدُ تَحْتَ وِسَادَتِكَ))"[8].

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٣٠٨٧، كتاب: التفسير، باب: بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة، الحديث صحيح.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن البراء، حديث رقم: ١٩١٥، كتاب: الصوم، باب: قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٥) رواه البخاريّ في صحيحه، عن البراء، حديث رقم: ٤٥٠٨، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾.
(٦) رواه البخاريّ في صحيحه، عن سهل بن سعد، حديث رقم: ١٩١٧، كتاب: الصوم، باب: قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾.
(٧) رواه أحمد في مسنده، عن عديّ بن حاتم، حديث رقم: ١٩٣٧٠، مسند: الكوفيين، مسند: بقيّة حديث عدي بن حاتم، الحديث إسناده صحيح.
(٨) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عديّ بن حاتم، حديث رقم: ٤٥٠٩، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾.

ومعنى قوله: ﴿إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ﴾: إن كان ليسع الخيطين الخيط الأسود والأبيض المرادين من هذه الآية تحتها، فإنّهما بياض النهار وسواد اللّيل، فيقتضي أن يكون بعرض المشرق والمغرب. وجاء في بعض الألفاظ: «إنك لعريض القفا» ففسّره بعضهم بالبلادة، وهو ضعيف بل يرجع إلى هذا، لأنّه إذا كان وساده عريضًا فقفاه أيضًا عريض والله أعلم؛ ويفسره رواية البخاريّ أيضًا عن عديّ بن حاتم ﷺ، قال: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: مَا الخَيْطُ الأَبْيَضُ، مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ أَهُمَا الخَيْطَانِ، قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَعَرِيضُ القَفَا، إِنْ أَبْصَرْتَ الخَيْطَيْنِ﴾، ثمّ قَالَ: ﴿لا بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ﴾"[1].

وفي إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السّحور، لأنّه من باب الرّخصة، والأخذ بها محبوب، ولهذا وردت السُّنَّة الثابتة عن رسول الله ﷺ: ﴿تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً﴾[2]، وعن عمرو بن العاص ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ﴿فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ﴾[3] وقد ورد في التّرغيب في السّحور أحاديث كثيرة حتّى ولو بجرعة من ماء تشبّهًا بالآكلين، فعن أبي سعيد الخدريّ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ، فَلَا تَدَعُوهُ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ﴾[4]، ويستحبّ تأخير السّحور إلى وقت انفجار الفجر، كما جاء عن زيد بن ثابت ﷺ، قال: ﴿تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثمّ قُمْنَا إِلَى الصَّلاةِ» قُلْتُ: كَمْ كَانَ قَدْرُ مَا بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: ﴿خَمْسِينَ آيَةً﴾[5]. وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْإِفْطَارَ، وَأَخَّرُوا السُّحُورَ﴾[6]، وقد روي عن طائفة كثيرة من السّلف أنّهم تسامحوا في السّحور عند مقاربة الفجر، روي مثل هذا عن أبي بكر وعمر وعليّ وابن مسعود وحذيفة وأبي هريرة وابن عمر وابن عبّاس وزيد بن ثابت ﷺ، وعن طائفة كثيرة من التّابعين منهم محمّد بن علي بن الحسين وإبراهيم النّخعيّ وعطاء والحسن ومجاهد وعروة بن الزّبير وغيرهم. وقد ورد عن عائشة ﷺ أَنَّ بِلالًا كَانَ يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابن أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ لا يُؤَذِّنُ حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ﴾[7].

مسألة: مِنْ جَعْله تعالى الفجر غاية لإباحة الجماع والطّعام والشّراب لمن أراد الصّيام، يُستدَل على أنّه من أصبح جنبًا فليغتسل وليتمّ صومه ولا حرج عليه، وهذا مذهب الأئمّة الأربعة، وجمهور العلماء سلفًا وخلفًا، لما روي عن عائشة ﷺ زَوْجَ النّبيّ ﷺ، قَالَتْ: **"قَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ فِي رَمَضَانَ وَهُوَ جُنُبٌ، مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ، فَيَغْتَسِلُ وَيَصُومُ"**[8]

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عديّ بن حاتم، حديث رقم: ٤٥١٠، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ١٩٢٣، كتاب: الصوم، باب: بركة السحور من غير إيجاب.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن عمرو بن العاص، حديث رقم: ١٠٩٦، كتاب: الصيام، باب: فضل السحور وتأكيد استحبابه.

(٤) رواه أحمد في مسنده، عن أبي سعيد الخدريّ، حديث رقم: ١١٠٨٦، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أبي سعيد الخدريّ ﷺ، الحديث صحيح.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن زيد بن ثابت، حديث رقم: ١٠٩٧، كتاب: الصيام، باب: فضل السحور وتأكيد استحبابه.

(٦) رواه أحمد في مسنده، عن أبي ذر الغفاريّ، حديث رقم: ٢١٣١٢، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: حديث أبي ذر الغفاريّ ﷺ، الحديث صحيح.

(٧) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ١٩١٨، كتاب: الصوم، باب: حديث النّبيّ ﷺ: "لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال".

(٨) رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ١١٠٩، كتاب: الصيام، باب: صحّة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب.

وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ يقتضي الإفطار عند غروب الشّمس حكمًا شرعيًّا، كما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ قيل هذا في الرّجل يعتكف في المسجد في رمضان أو في غير رمضان، فحرّم الله عليه أن ينكح النّساء ليلًا أو نهارًا حتّى يقضي اعتكافه، فقد كان الرّجل إذا اعتكف فخرج عن المسجد جامع إن شاء، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ أي لا تقربوهنّ ما دمتم عاكفين، في المسجد ولا في غيره. وقالوا: لا يقربها وهو معتكف، وهذا هو الأمر المتّفق عليه عند العلماء، أنّ المعتكف يحرم عليه النّساء ما دام معتكفًا في مسجده، ولو ذهب إلى منزله لحاجة لا بدّ له منها، فلا يحلّ له أن يثبت فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك، من قضاء الغائط أو الأكل، وليس له أن يقبّل امرأته، ولا أن يضمّها إليه، ولا يشتغل بشيء سوى اعتكافه.

وقوله: ﴿تِلْكَ﴾ أي هذا الذي بيّناه وفرضناه وحدّدناه من الصّيام وأحكامه، وما أبحنا فيه وما حرّمنا وذكرنا غاياته ورخصه وعزائمه، ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ في حكم الاعتكاف شرّعها الله وبيّنها بنفسه ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ فلا تجاوزوها فضلًا عن أن تتعدّوها، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾ فكما بيّن الصّيام وأحكامه وشرائعه وتفاصيله، كذلك يبيّن سائر الأحكام على لسان عبده ورسوله سيّدنا محمّد ﷺ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لعلّهم يعرفون كيف يهتدون وكيف يطيعون.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. قرب الله تعالى من عباده إذ العوالم كلّها في قبضته وتحت سلطانه، ولا يبعد عن الله شيء من خلقه، إذ ما من كائن إلّا والله يراه ويسمعه ويقدر عليه، ويمدّه بالسّمع والبصر والنّطق والقوّة والحياة، وهذه حقيقة القرب.

٢. الله تعالى يستجيب لك إذا دعوته، فوجب عليك الاستجابة له تعالى بما يدعوك إليه من الإيمان وصالح الأعمال.

٣. الحرص على الدّعاء قبل الإفطار، فإنّ للصّائم دعوة مستجابة حتّى يُفطر.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عمر بن الخطاب، حديث رقم: ١٩٥٤، كتاب: الصوم، باب: متى يحل فطر الصائم.

٤.أقرب العباد إلى الله من همّهم التّعرّف إلى الله تعالى، وإلى أسمائه وصفاته.

٥.سؤال كلّ واحد يدلّ على حاله، ففي الآية: لم يسألوا عن حكم ولا عن مخلوق ولا عن دين ولا عن دنيا ولا عن عقبى، بل سألوا عنه فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾. وليس هؤلاء من جملة من قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾[١]، ولا من جملة من قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَامَىٰ﴾[٢] ولا من جملة من قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[٣]، ولا من جملة من قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[٤]، ولا من جملة من قال: و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[٥]، ولا من جملة من قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[٦]. هؤلاء قوم مخصوصون.

٦.الوصول إلى الله تعالى، لا يتمّ إلا إذا جئته من باب رسول الله ﷺ كي تكون من المقرّبين، كما أشار تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾.

٧.الرّشد في طاعة الله، والغيّ والسّفه في معصيته تعالى.

٨.إباحة الأكل والشّرب والجماع في ليال الصّيام من غروب الشّمس إلى طلوع الفجر.

٩.بيان وقت الصّيام: من طلوع الفجر الصّادق إلى غروب الشّمس.

١٠.بيان ما يمسك عنه الصّائم: الأكل والشّرب والجماع.

مشروعيّة الاعتكاف وخاصّة في رمضان، وأنّ المعتكف لا يحلّ له مخالطة امرأته وهو معتكف، حتّى تنتهي مدّة

١١.اعتكافه التي عزم أن يعتكفها.

١٢.استعمال الكناية بدل التّصريح فيما يستحيي من ذكره، حيث كنّى بالمباشرة عن الوطء.

١٣.حرمة انتهاك حرمات الشّرع وتعدّي حدوده.

١٤.بيان الغاية من إنزال الشّرائع ووضع الحدود وهي تقوى الله ﷻ.

١٥.إثبات سنّة السّحور بالسنّة، واستحباب تأخيره ما لم يخش طلوع الفجر، واستحباب تعجيل الفطر.

ما أهميّةُ أن تكونَ عبدًا ربّانيًّا؟

كلّما كان همّك التّعرّف إلى الله والتّخلّقَ بأسمائه الحسنى؛ تقرّبت مِن الله تعالى وكنت عبدًا ربّانيًّا، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٧]. فسيّدُنا ونبيُّنا محمّدٌ ﷺ سيّدُ الوجودِ؛ كان أوّل نبيّ من حيث الرّوح، وكان خاتم النّبيّين من حيث الرّوح والجسد. فقد تعلّقَ وتخلّقَ وتحقّقَ بأسماءِ الله الحسنى كلِّها، ووصفَتْه السّيّدةُ عائشةُ رضي الله عنها: ﴿كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ﴾[٨]. والقرآنُ كلامُ الله تعالى، وفيه أسماؤه وصفاتُه. والتّخلُّقُ بالقرآنِ هو ما يسعى إليه كلُّ مسلمٍ، سائلًا الله تعالى أن يوفّقه ويهديَه إليه، يدعُو في كلِّ صلاةٍ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[٩]، أي: اِهدِنا إلى أن نتعلّقَ ونَتخلّقَ بأسمائِكَ الحسنى، فنفهمَ ما يُرضيك ويُقرّبنا إليك، ونتعاملَ معَها كما تعاملَ معها الّذينَ أنعمتَ عليهم مِن النّبيّينَ والصّدّيقينَ والشُّهداءِ والصّالحينَ، عائذينَ بك يا ربَّنا مِن أن نسيرَ على صراطِ المغضوبِ عليهم أو الضّالّينَ، فنفهمَ الدُّنيا كما فهمُوها ونعيشَ فيها كما كانوا يعيشونها.

(١) سورة طه، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٨) رواه أحمد في مسنده، عن عائشة، حديث رقم: ٢٤٦٠١، مسند: النساء، مسند: الصّديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما، الحديث صحيح.
(٩) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦- ٧.

والسَّبيل إلى ذلك أن يُنوّر الله تعالى قلبك أيُّها الإنسان. فإنّ من معاني تسمية القلب قلبًا، لِتَقَلُّبِهِ ولأنّه يَقْلِبُ الكثائفَ إلى لطائف. والكثائفُ هي الأشياء المحسوسة، واللَّطائف هي تجليّاتِ الأسماءِ الإلهيّة في الأشياء. فقد نَوَّر الله تعالى قَلْبَ سَيِّدِنا آدم عليه السلام ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[1] فصار يَرَى تجليّات الأسماء في الأشياء، ونَوَّر الله تعالى قُلوب العارفين والأولياءِ. فصارَ حالُهُمْ كما وَرَدَ في الأثَرِ: "ما رأيت شيئًا إلَّا رأيت الله قبله وبعده ومعه"

فمن نَوَّر الله تعالى قلبه، صار قلبه ذاكرًا على الدّوام، وذلك لأنّه كلّما رأى شيئًا تَذَكَّرَ قَلْبُهُ عظمةَ الله تعالى وإتقانَه في خَلْقِه، وقرأ فيه اسمًا من أسماء الله، كالمصوّر أو البديع أو المعزّ أو الحكيم أو غَيرَ ذلك من الأسماء، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2] وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[3]، وحَذّرَ القرآنُ الكريمُ مِنْ القَلْبِ الغَافِلِ وامْتَدَحَ القلبَ الذاكِرَ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾[4].

فمن كان همّه وسؤاله من الله بعض حوائجه أعطاه، ومن كان همُّهُ وسؤالُهُ التعرُّفَ إلى الله، والفوزَ برضاه، قَرَّبَه وأدناه، وتَوَلاه وكَفاه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[5]. فليكن همّك السُّؤال عن الله تعالى وعن صفاته وأسمائه لتتعلّق بها وتتخلّق، فيقربك الله تعالى إليه، كما قال تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾. فالله تعالى من هؤلاء قريب.

وهناك قِصَّةٌ تُروى عن **الشّيخ محمّد الهاشِمي**: أنَّ مَلِكًا من الملوك فاضَتْ خزائِنُه بالأموال فقال لوزيره أعْلِنْ في الرّعيّة أنَّ من يريد أموالًا من الملك فَلْيَأْت وَلْيَأْخُذْ ما يريد ولا تدع أحدًا في المملكة إلا أعطيتَهُ من خَزائِني حتى يَرْضى فكانَ ذلك. وبعد الانتهاء من ذَلك سألَ المَلِكُ وزيره هل أخَذَ كُلُّ واحِد من الرَّعِيَّةِ ما يريد من أموال فقال الوزير كُلُّهم أخذوا إلا امرأةً سَوْداءَ شَمْطاءَ تعمل في مَطْبَخِ قَصْرِكَ، وهي مُوَكَّلَةٌ بتقشير البصل وتَقْطيعِهِ، فلم تأخذ شيئًا وقالت أنا لا أريد شيئًا فليس طلبي المالَ. فاستدعاها المَلِك وقال لها ما طلبك إذن؟ فقالت أريدُكَ أنت فقال المَلِكُ أنْتِ المُخْلِصَةُ الذَّكيَّةُ في هذه الرَّعِيَّةِ **ومن طَلَبَ الملك حَصَل على كُلِّ ما عِنْدَ المَلِكِ. ولِلّهِ المَثَلُ الأعلى.**

وهذه **قصّةٌ للعبرة** عن ملك له غلامٌ عزيزٌ عليه، حيث كان يُفَضِّلُهُ على باقي الغِلمان، على الرّغم من أنّ هذا الغلامَ لم يتميز بجمالٍ خارِجِيٍّ أو قُوةٍ بدنيَّةٍ. فَتَساءَلَ الوزراءُ والأمراءُ عن سببِ تفضيلِ المَلِكِ لهذا الغلام. في يوم من الأيّام، خَرَجَ المَلِكُ وأتباعُهُ في رِحْلَةٍ. وألقى الملكُ نَظْرَةً على جَبَلٍ في الأفُقِ كانت قِمَّتُهُ مغطّاةً بالثلج، وبينما كان الحاضرون مشغولين بأحاديثهم، انطلق الغلامُ نحو الجبلِ وصَعِدَ إليه. وعاد بعد قليل حاملًا قطعةً من الثلجِ وقَدَّمَها للملك. فتعجَّبَ الجميعُ، وقالوا: وَيْحَكَ ماذا تفعل؟ فأجاب الغلامُ قائلًا: **"إن سيّدي قد نَظَرَ إلى الثّلج، فَعَرَفْتُ أنّه يريدُهُ، فإنَّ نَظَرَ الملوكِ إلى شيءٍ لا يكون إلّا عن قصد لا عَنْ عَبَثٍ"**. فقال الملكُ للأمير: إنَّما أُقبِلُ على هذا الغلامِ أكْثَرَ من إقبالي على غيرِهِ بهذا الذي رَأَيْتَهُ. فالكُلُّ يُفَكِّرُ في نَفْسِهِ، ويريدُ حوائجَهُ مِنّي، وهذا مُشْتَغِلٌ بِمُراعاةِ أحوالي. وكذلك التَّعلُّقُ باسم الله تعالى البصير يكون مع الإخلاص لله ﷻ.

(١) سورة البقرة، الآية:٣١.
(٢) سورة ق، الآية:٣٧.
(٣) سورة العلق، الآية:١.
(٤) سورة الكهف، الآية:٢٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

١- ما جزاء الصّائمين؟ ولماذا؟

جاء في الحديث القدسيّ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: ﴿كُلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ يُضاعَفُ، الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثالِها إلى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قالَ اللهُ ﷻ: إلّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لي، وَأَنا أَجْزي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعامَهُ مِنْ أَجْلي﴾[١]. وذلك إشارة إلى أنّ الصّومَ الحقيقيّ جزاؤه ليس بكثرةِ الحسناتِ ولا بعظيمِ المضاعفاتِ، بل جزاؤه الفوز بحبّ الله تعالى، كما قال: ﴿إِلّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لي وَأَنا أَجْزي بِهِ﴾ أي أنا جزاؤه، الفوز بحبّه تعالى ورضاه، فيُقَرّبُك إليه ويُتِمُّ فضله عليك. فجميع العباداتِ تجعلُكَ تفوزُ بالأجر والثّواب، أمّا الصّوم الصّحيح، الّذي هو أن تتركَ ما تحبّه وتهواه لِما يحبُّهُ ربُّك ويرضاه، فيجعلك تفوز بالله تعالى، وهو ما أشار إليه في الحديث بقوله: "وأنا أجزي به".

٢- ما علاقة ختام شهر رمضان بختام حياةِ الإنسان؟

مَثَلُ شهرِ رمضان كمثلِ حياةِ الإنسانِ، فكما يمرُّ شهرُ رمضان سريعًا، تمُرُّ حياةُ الإنسان بسرعة، فينسى كلَّ تَعَبٍ وَيَفرح بِما أنجز كما يفرحُ الصّائمُ بقدومِ العيد. فالله تعالى ما نهاكَ عمّا نهاكَ عنه في هذه الحياة الدُّنيا إلّا لكي تتعرَّفَ إليه، وتتقرّب منه، ولكي يُكرمَك ويُعطيَك، فإذا ما انتهتِ الحياةُ انتَهَت المَوانِعُ والمُحرَّماتُ، وَبَدَأتِ المَكْرُماتُ والمَسَرّاتُ، كما ينتهي شهر رمضان وينتهي معه الامتناع عن الطّعام والشّراب، ويأتي العيد. قال عبد الله: **"لا راحَةَ لِلْمُؤمِنِ دونَ لِقاءِ اللهِ تعالى"**[٢].

وقال ﷺ: ﴿لِلصّائِمِ فَرْحَتانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقاءِ رَبِّهِ﴾[٣].

فعيدُ الصّائم بلقاءِ الله تعالى. أي جزاء الصّائم بلقاءِ الله ﷻ، وهذا أجمل من كلّ جميل وأعظم من كلّ عطاء.

وَمَن صامَ بِتَرْكِ ما يُحبُّهُ ويَهواهُ لِما يُحِبّهُ رَبُّهُ وَيَرضاه، فقد فازَ عند الموتِ بِلِقاءِ الله تعالى، وفازَ في الجنّة برؤية الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ* إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾[٤] فما أعظمَ هذا الفوزَ!

فنيّتنا بالصّوم يجبُ أن تكونَ: أنّنا نصومُ للفوز بالله تعالى؛ أي الفوز بقربِهِ وَحُبِّهِ ورِضاه، والفوز بلقائه عند الموت، والفوز برؤيته في الجنّة مع المُقرّبين المَحبوبين.

٣- ما مهمّتي الأساسيّة في شهر رمضان؟

ركّز جهدك في هذا الشّهر الفضيل على التّوبة وترك الكبائر، وأكثر من النّوافل قدر استطاعتك، لقوله ﷺ: ﴿فَإِذا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبوهُ، وَإِذا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ﴾[٥].

فمثلًا إذا كنت موظّفًا، فلا يجوز مطلقًا أن تقصّرَ في عملك في شهر رمضان، سواءٌ في دوامك أو إنتاجيّتك لأنّك تقوم اللّيل، فإعطاء صاحب العمل حقّه فرضٌ وقيام اللّيل سنّة، فلا تقدّم السّنّة على الفرض، ولا تجعل قيامَك سببًا في مَعصِيَتِكَ. وإن كنت صاحبَ عملٍ فإيّاك أن تغشَّ في المُواصفاتِ فيحبطَ أجرُ صيامِكَ وقيامِكَ. وإن كان

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١١٥١، كتاب: الصّيام، باب: فضل الصّيام.
(٢) رواه أحمد في الزّهد، عن عبد الله، حديث رقم: ٨٤٦، كتاب وباب: في فضل أبي هريرة.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١١٥١، كتاب: الصّيام، باب: فضل الصّيام.
(٤) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ – ٢٣.
(٥) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٧٢٨٨، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

بينك وبين مسلم قطيعةٌ وبغضاء وشحناء، فبادِر إلى أن تَصِلَ مَن قَطَعَكَ وأن تنظّفَ قلبَك مِنَ الحِقدِ. وإنْ كنتِ تُسيئين إلى الأُجَراء عندك في البيت أو العمل برفعِ الصّوتِ والإهاناتِ والسّباب فأصلحي ذلك، فإنّ ذلك ممّا يحبطُ أجر الصّائم.

عن جابر ﷺ قال: **"إذا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسانُكَ عَنِ الكَذِبِ وَالمَآثِمِ، وَدَعْ أَذى الخادِمِ وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وقارٌ وَسَكينَةٌ يَوْمَ صِيامِكَ، ولا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صِيامِكَ سَواءً"** [1].

وقد حُكي عن أمِّ المؤمنين عائشة ﷺ في أنّ الغيبةَ تُفطر الصّائم، وتوجب عليه القضاء، وبه قال الأوزاعيّ ﷺ. وعند جمهور العلماء: الغيبة تحبط أجر الصّائم، ولا قضاء عليه.

٤ - ما حكم الخطأ في الإفطار؟ وما حكم من أكل ناسيًا؟

ما حكم من أكل أو شرب ظانًّا غروب الشّمس، أو تسحّر يظنّ عدم طلوع الفجر، فظهر خلاف ذلك، هل عليه القضاء أم لا؟

ذهب الجمهور وهو مذهب الأئمّة الأربعة إلى أنّ صيامه غير صحيح ويجب عليه القضاء، لأنّ المطلوب من الصّائم التثبّت، لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ فأمر بإتمام الصّيام إلى غروب الشّمس، فإذا ظهر خلافه وجب القضاء.

وهذا بخلاف النّاسي وهو من أكل في نهار رمضان ناسيًا، فصومه صحيح وعليه أن يتوقّف عن الطّعام والشّراب عند تذكّره، ويتمّ صومه ويعتبر ما أكله وشربه هديّة من الله، لقوله ﷺ: ﴿**مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ**﴾[2].

٥- هل الجنابة تنافي الصّوم؟

دلّ قوله ﷻ: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ الآية، على أنّ الجنابة لا تنافي صحّة الصّوم، لما فيه من إباحة الأكل والشّرب والجماع من أوّل اللّيل إلى آخره، مع العلم أنّ المجامع في آخر اللّيل إذا صادف فراغه من الجماع طلوع الفجر يصبح جنبًا، وقد أمر تعالى بإتمام صومه إلى اللّيل ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ فدلّ على صحّة صومه، ولو لم يكن الصّوم صحيحًا لما أمره بإتمامه.

عن عَائِشَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ﷺ: **"أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ، وَيَصُومُ"**[3]، فالجنابة لا تأثير لها على الصّوم، ويجب الاغتسال من أجل الصّلاة.

٦- هل يجب قضاء صوم النّفل إذا أفسده؟

اِختلف الفقهاء في حكم صوم النّفل إذا أفسده، هل يجب فيه القضاء أم لا على مذاهب:

- **مذهب الحنفيّة:** يجب عليه القضاء لأنّه بالشّروع يلزمه الإتمام. والدليل:

أ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ فهذه الآية عامّة في كلّ صوم، فكلّ صومٍ شرع فيه لزمه إتمامه.

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، عن جابر، حديث رقم: ٨٨٨٠، كتاب: الصيام، باب: ما يؤمر به الصائم من قلّة الكلام، وتوقّي الكذب.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٦٦٩، كتاب: الإيمان والنذور، باب: إذا حنث ناسيًا في الإيمان.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عائشة وأمّ سلمة، حديث رقم: ١٩٢٦، كتاب: الصوم، باب: الصائم يصبح جنبًا.

ب - **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تبطلوا أَعْمَالَكُمْ﴾[1] والنّفل الذي شرع فيه عمل من الأعمال، فإذا أبطله فقد ترك واجبًا، ولا تبرأ ذمّته إلا بإعادته.

ج - **حديث عائشة:** "أَصْبَحْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ، صَائِمَتَيْنِ مُتَطَوِّعَتَيْنِ، فَأُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ فَاشْتَهَيْنَاهَا، فَأَكَلْنَاهَا، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَدَرَتْنِي حَفْصَةُ، فَكَانَتْ بِنْتُ أَبِيهَا، فَسَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ((لَا عَلَيْكُمَا صُومَا يَوْمًا مَكَانَهُ))"[2].

- **مذهب الشّافعية والحنابلة:** لا يجب عليه القضاء لأنّ المتطوّع أمير نفسه. والدليل:

أ - **قوله تعالى:** ﴿مَا عَلَى المحسنين مِن سَبِيلٍ﴾[3] والمتطوّع محسن، فليس عليه حرج في الإفطار.

ب - **حديث:** ((الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ))[4].

- **مذهب المالكيّة:** أنّه إن أبطله فعليه القضاء، وإن كان طرأ عليه ما يفسده فلا قضاء عليه.

٧ - ما الاعتكاف وفي أيّ المساجد يتحقّق؟

الاعتكاف الشّرعيّ: هو المكث في بيت الله بنيّة العبادة، وبأن لا يشتغل بشيء من أمور الدّنيا، بل هو وقت يتفرّغ فيه للعبادة، وهو من الشّرائع القديمة. قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ والقآئِمِينَ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ ويشترط في الاعتكاف أن يكون في المسجد لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾

وقال الجمهور: يجوز الاعتكاف في كلّ مسجد من المساجد، لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ وهو الصّحيح، لأنّ الآية لم تعيّن مسجدًا مخصوصًا فيبقى اللّفظ على عمومه.

ويمكن للإنسان أن يتّخذ لنفسه مكانًا يصلّي فيه ويذكر الله تعالى فيه في بيته، ويكون بمثابة مسجده. فله أن يعتكف فيه شرط أن يتفرّغ فيه للعبادة، ولا ينشغل بمن حوله من أهل أو ولد أو ما شابه.

وأمّا المرأة فيجوز لها أن تعتكف في بيتها لعدم دخولها في النصّ السّابق.

٨- ما مدّة الاعتكاف؟

اختلف الفقهاء في المدّة التي تلزم في الاعتكاف على أقوال:

أ - أقلّه يوم وليلة، وهو مذهب الإمام أبي حنيفة.

ب - أقلّه عشرة أيام، وهو أحد قولي الإمام مالك.

ج - أقلّه لحظة ولا حدّ لأكثره، وهو مذهب الإمام الشّافعيّ، فيقول: نويت الاعتكاف في هذا المسجد ما دمت فيه.

العمل بالآيات:

اِحرص على الدّعاء قبل الإفطار، فإنّ للصّائم دعوة مستجابة حتّى يفطر، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٣.

(٢) رواه الطّبرانيّ في المعجم الأوسط، عن عائشة، حديث رقم: ٦٤٣٣، باب: الميم، من اسمه: محمّد.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٩١.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، عن أمّ هانئ، حديث رقم: ١٥٩٩، كتاب: الصوم، باب: وأمّا حديث شعبة، الحديث صحيح.

(٥) سورة الحجّ، الآية: ٢٦.

في الأخلاق والآداب

من الأخلاق المحمّديّة: الدُّعاء والشَّكوى إلى الله تعالى وحدَه:

هذا الخُلُقُ مُستَمَدٌّ مِن أسماء الله تعالى **"القريب المُجيب الصَّمد"**.

والتَّعَلُّقُ باسم الله **"القريب"** هو بأن تَستَشعِرَ أنَّ الله تعالى أقربُ إلَيكَ مِن حَبلِ الوَريدِ، يَعلَمُ بحالِكَ وَبحاجَتِكَ فَاشْكُ إليهِ هَمَّكَ ولا تَشكُ لِسواهُ، فهو أقربُ إلَيكَ مِن كُلِّ قريبٍ وَأَحبُّ إليكَ مِن كُلِّ حبيبٍ.

وهوَ تعالى **"المُجيبُ"** إذا دعوتَهُ؛ فَمهما كانَ طلبُك عظيمًا وَصَعبًا فالله تعالى لا يتعاظَمُ عليه مَطلَبٌ.

وهو تعالى **"الصَّمَدُ"** الغنيُّ عَن كُلِّ ما سِواه والمُفتَقِرُ إليهِ كُلُّ مَن عَداهُ، وَالتَّعلُّقُ باسم الله **"الصَّمد"** هو أن تَصمُدَ إليه، أي ترفعَ إليه جميعَ حوائِجَكَ ولا يَتَعَلَّقُ قَلبُكَ بِسواه.

- لا تعتد على تنفيس ما في قلبك من هموم إلى النّاس! مهما كان مستشارُك ماهرًا وحكيمًا وأمينًا، فلن يخرجَك ممّا أنت فيه من الضّيق إلّا خالقُك، الأعلمُ بكَ والأقربُ إليكَ والأحكمُ بأمرِكَ والأرحمُ بك. لذلك أمَرَكَ أن تشكوَ همَّكَ وحزنَك له: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[1].
- يتساءل العديد من النّاس لِمَ يأتِ البلاء؟ ولِمَ الدُّنيا مليئة بالمُنغّصاتِ والمَصائب؟ قبل الإجابة عن هذا السّؤال، تَفَكَّرْ لحظة: هل تتذكّر الله تعالى عندما تكونُ مُحاطًا بالنّعم؟ هل تشكُرُه على الدَّوام؟ في الأغلب، لا يخطرُ شكرُهُ على بالك. فإذا قطع عنك هذه النِّعم، حتمًا سترجع إليه وتلجأ إليه مسرعًا. لقد خلقَ الله لنا حاجاتٍ، وَأَحْوَجَنا إليها، وجعلَ لنا نِعَمًا ولكنَّها غيرُ مُكتملة. وابتلانا بالبلايا وليس لنا الخيارُ فيها. كلّ ذلك لكي نفرَّ إليه، ونعترفَ بفقرِنا وضعفِنا وعجزِنا، فَيتولّانا ويُرشِدَنا وَيُكرِمَنا وَيَرزُقَنا وَيَشفينا وَيَغفِرَ لنا وَيَرفعَ عنّا البلاء. قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ...﴾[2].
- الدُّعاء هو عبادةٌ يَلجأُ بها العبدُ إلى الله تعالى متضرّعًا طالبًا المغفرة والتّوبة، سائلًا الله تعالى حاجة مِن حوائجِ الدُّنيا أو الآخرة مَعَ يقينٍ بالإجابة. والدُّعاء لا وقتَ محدّد كالصّلاة والصِّيام، ولا يتضمّن صيغة واحدة، بل كلّ عبدٍ يدعو الله بما تريدُ نفسُهُ بِلُغَتِهِ وَطريقته الخاصّة. وَمِن مظاهِرِ رحمة الله بعباده أنَّه يَستجيبُ مِن كلّ من دعاه صادقًا مخلصًا، سواء كان مؤمنًا أو كافرًا، وَمِن جميع المعتقدات تصديقًا لقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ...﴾[3].
- أطلقْ لِسانَك بالدّعاء، فالدُّعاءُ مُجابٌ مُجابٌ. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[4]. ولكنّ الله يختارُ الوقتَ المناسِبَ والطّريقةَ الأفضلَ لك. ثِق بالله فقط! فهو أحكمُ الحاكِمينَ! حينَ تقولُ: "ربّنا"، يجيبك تعالى: "لبّيكَ عَبدي!" فهل هناك فَضلٌ وعطاءٌ وإكرامٌ بَعْدُ أفضلُ مِن ذلك؟ تُرى، إذا تلقّيتَ ذاتَ يومٍ اتّصالًا، أنّ ابنَكَ تعرّضَ لحادثةٍ في المدرسةِ، فَمِنَ الطّبيعيّ أن تُهرَعَ لأخذِهِ إلى الطّبيبِ المعالج. ولكن هل خَطَرَ ببالِكَ يومًا أن تدعوَ الله أوّلًا وقبلَ أيّ ردّةِ فِعلٍ؟
- **كيف تدعو الله؟** قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا...﴾[5]. فإذا كان بلاؤكَ في المرض وتطلب الشّفاء، فَادعُ الله تعالى باسمه **"الشّافي"**. وإذا كان بلاؤك في الفقر، فادعوه باسمه **"الرَّزّاق"**. وَلِدَفْعِ الضَّررِ والبلاء، تسأله باسمه **"الدّافع"**. وَلِيَمنعَ عنك شرّ مَن أرادَ بِكَ سوءًا، تسأله باسمه **"المانع"**...

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٦.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٠
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

التّوجيهات:

- بالدّعاء تحصل الهداية والرّشاد، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.
- الغاية من إنزال الشّرائع ووضع الحدود تقوى الله ﷻ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.
- لا تقترب من الشّبهات فتقع في الحرام، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾.

في السّيرة والشّمائل

قصّة من حياة النّبيّ ﷺ في الطّائف:

بعد ثلاثةِ أشهرٍ مِن موت عمّ الرّسول ﷺ "أبي طالب"، وزوجته السّيّدة "خديجة" رضي الله عنها، توجّهَ النّبيّ ﷺ ومعه خادمُهُ "زيد بن حارثة" رضي الله عنه إلى الطّائف سيرًا على قدَمَيْه ذهابًا وعودَةً، صُعودًا إلى جَبَلٍ يعلو ٢٠٠٠م ومسافة ١٠٠ كيلومتر حيث قبيلة "ثقيف". وكان ممّن قابَلَهم وَدَعاهم إلى الإسلامِ ثلاثةٌ مِن زُعماءِ "ثقيف" وأشرافِها. أقامَ ﷺ في الطّائف عدّة أيّام، لم يَترُك أحدًا إلّا دعاهُ إلى الإسلام. فَتَطاوَلوا عليهِ وَطَرَدوه، ثمّ أغْرَوْا بِهِ سُفهاءَهم فلاحقوه وهو خارجٌ مِنَ الطّائف يَسبّونَهُ وَيَرمونَهُ بالحجارةِ، حتّى دَمِيَت قدماهُ الشّريفتان. وحاوَلَ "زيد بن حارثة" رضي الله عنه أن يحمي النّبيّ ﷺ فأصيبَ في رأسِهِ. وَلَمْ يَزَلِ السُّفهاءُ يَرمونَهما بالحِجارَةِ حتّى لَجَأَ النّبيّ ﷺ و"زيد" رضي الله عنه إلى بستانٍ على بُعدِ ثلاثةِ أميالٍ مِنَ الطّائف، فَرجعوا عنهما.

أتى ﷺ ظلَّ شجَرةٍ فصلّى ركعتَيْنِ، ثمّ قال: «اللهمَّ إليكَ أشْكُو ضَعْفَ قُوَّتي، وَقِلَّةَ حيلَتي، وَهَواني عَلى النّاسِ، (إستهانتهم واستخفافهم بشأني)، أنْتَ أرْحَمُ الرّاحِمينَ، إلى مَنْ تَكِلُني (تتركني)؟! إلى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُني (يلقاني بغلظة ووجه كريه)! أمْ إلى قَريبٍ مَلَّكْتَهُ أمْري! إنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبانَ عَلَيَّ فَلا أُبالي، إنَّ عافِيَتَكَ أوْسَعُ لي، أعوذُ بِنورِ وَجْهِكَ الَّذي أشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُماتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أمْرُ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، أنْ تُنْزِلَ بي غَضَبَكَ، أوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ العُتْبى (الإسترضاء) حَتّى تَرْضى، ولا قُوَّةَ إلّا بِكَ»[1].

وبعد الاضطهادِ الشّديدِ والسّخريةِ والإهانةِ في الطّائف، استجابَ الله تعالى دعاءَ نبيّه ﷺ وواساه بأعظمِ مواساة، وهي **"رحلة الإسراء والمعراج"**، لِيُنْسيَهُ كلَّ ما أصابه مِن حزنٍ وهمٍّ وأذى، وليرفعَ قدرهُ عبرَ رحلةٍ مُباركةٍ إلى السّمواتِ السّبعِ، وكأنّهُ يقولُ لَهُ: "إنْ أعرضَ عنك أهلُ الأرضِ فانظُر كيف أنّ أهلَ السّمواتِ السّبعِ في غايَةِ الشّوقِ لِرُؤيَتِكَ وَاستِقبالِكَ والتَّبَرُّكِ بِكَ".

قصّة من حياة الأنبياء: سيّدنا أيوب عليه السلام

سيّدنا "أيّوب" نبيٌّ كريمٌ رزَقَهُ الله تعالى نِعَمًا كثيرةً، والكثيرَ من الإبلِ والبقرِ والغنمِ. وكان له أولادٌ كُثُرٌ عاشَ مَعَهم في نعيم. كان يسكنُ في جنوبِ بلادِ الشّامِ، وكان مَحبوبًا لجودِهِ وسخائِهِ وصدقاتِهِ على الفقراءِ والمَساكين. ابتلاهُ الله

(١) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن عبد الله بن جعفر، حديث رقم: ١٨١، باب: العين، ما انتهى إلينا من مسند عبد الله بن جعفر، الحديث حسن.

بأمراضٍ كثيرةٍ أَلْزَمَتْه الفِراشَ سنواتٍ عِدّة. ثُمَّ ماتَ أبناؤه واحدًا تِلْوَ الآخَر، وذَهَبَ مالُهُ فلم يبقَ عندَه شَيء. حتّى إنّ زوجَتَه صارَت تخدمُ النّاسَ لِتُطعِمَهُ. لَجَأَ سيّدُنا "أيّوب" عليه السلام إلى ربّه مَعَ يقينٍ وحُسْنِ ظنٍّ بربّهِ ودعاه قائلًا: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نادىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرّاحِمينَ﴾[1]. فاستجابَ اللهُ دعاءَه، فقالَ سبحانَه وتَعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِندِنا وَذِكْرىٰ لِلْعابِدينَ﴾[2] أي أوحى اللهُ عزّ وجلّ إليه بقوله: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ﴾[3]. فَضَرَبَ الأرضَ برجلِهِ فانبعَثَت عينُ ماءٍ فاغتسلَ، وَشَرِبَ فعافاه اللهُ سبحانَه وَتَعالى، وعادَت له عافِيَتُهُ وَقُوَّتُهُ وشبابُهُ. فَرِحَت زوجتُه وعادا إلى منزلِهما وعوّضَهما اللهُ عن المالِ الَّذي كان عندهم أضعافَه وعَنِ الأولادِ أكثرَ منهم.

هنا نتعلّمُ أنّه رغمَ غيابِ الأسباب واستحالة شفاءِ نبيّ اللهِ "أيّوب" ظاهِرًا، استجابَ اللهُ دعاءَه حين التَجَأَ إليه بِفقرٍ وَيَقينٍ أنَّه قادِرٌ على أن يُغيّرَ حاله إلى أحسنِ حال، وكان اللهُ عند ظنّه.

في السّلوك

الإشارة: قال الشّيخ القطبُ العارف الكبير سيّدي عبد السّلام بن مشيش لأبي الحسن رضي الله عنهما: حدِّدْ بصرَ الإيمان تَجِد اللهَ... محيطًا بكلّ شيء، بقُرب هو وصفهُ، وبحيطةٍ هي نعتُه، وَعَدّ- تنزّه- عن الظّرفيّة والحدود، وعن الأماكن والجهات، وعن الصّحبة والقرب في المسافات، وعن الدَّوْر بالمخلوقات، ومحق الكلَّ بوصفه الأوّل والآخر والظّاهر والباطن: «**كان اللهُ ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان**».

الإشارة: قد تقدّم أنّ صوم الخواصّ، وخواص الخواصّ، هو الإمساك عن الفُضول، وعن كلّ ما يقطع عن الوصول. أو الإمساك عن شهود الأغيار، وعن كلّ ما يوجب الأكدار. فإن عزَمَت النّفس على هذا الصّوم وعقَدَت النيّة عليه، حلَّ لها أن تُباشر أبْكارَ العلوم اللَّدنيّة الوهبيّة، والحقائق العرفانيّة، وتفضي إلى ثَيّبات العلوم الرَّسْميّة الكسبيّة. العلوم اللَّدنيّة الوهبيّة شِعارُها، والعلومُ الرسميّة دِثارها. العلوم اللَّدنيّة لباس باطنها، والعلوم الرسميّة لباس ظاهرها.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣. (٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٤. (٣) سورة ص، الآية: ٤٢.

في الأدعية والأذكار

«يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[1].

اللهمّ زدني علمًا بك، وزدني معرفة بك، وزدني تعلّقًا بأسمائك، وزدني تخلّقًا بأسمائك، وزدني تحقّقًا بأسمائك. اللهمّ زدني حبًّا بك وشوقًا إليك، وزدني ثقة بك وتوكّلًا عليك، وأنِر قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله.

اللَّهُمَّ لا تَشْغَلْنا بِما تَكَفَّلْتَ لَنا بِهِ وَأَقْرِدْنا لِما خَلَقْتَنا مِنْ أَجْلِهِ. وهذا الدُّعاءُ كثيرًا ما كان يَدْعو به أستاذي **السّيّد تاج الدّين الكتّاني.**

الآية ١٨٨

الرّشوة وأكل الأموال بالباطل لعامّة النّاس والمحامي ومعقّب المعاملات

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٨٨): قال مقاتل بن حيّان: نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عابس الكندي، وفي عبدان بن أشوع الحضرمي، وذلك أنّهما اختصما إلى النّبيّ ﷺ في أرض، وكان امرؤ القيس هو المطلوب (المدّعى عليه)، وعبدان هو الطّالب (المدعي)، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فحكّم عبدان في أرضه، ولم يخاصمه[1].

المناسبة: ومناسبةُ هذه الآيةِ لما قبلها ظاهرةٌ، وذلك أنّ من يعبدُ الله تعالى بالصيام فحبسَ نفسَه عمّا تعوّده من الأكل والشرب والمباشرة بالنهار، ثم حبسَ نفسَه بالتقييد في مكانٍ يعبدُ الله تعالى صائمًا له، ممنوعًا من اللذّة الكبرى بالليل والنهار، جديرٌ أن لا يكون مطعمه ومشربه إلّا من الحلال الخالص الذي ينوّر القلب، ويزيده بصيرةً، ويفضي به إلى الاجتهاد في العبادة، فلذلك نُهي عن أكل الحرام المفضي به إلى عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه[2].

المعنى العام

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ﴾ يا معشر المسلمين ﴿أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم﴾ أي أموال بعضكم بعضًا، ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ بغير حقّ شرعيّ، إمّا بغير حقّ أصلًا كالغصب والسّرقة والخيانة والخدع والتّطفيف والغشّ وغير ذلك... أو بحقّ باطل كما يؤخذ

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن أنس، حديث رقم: ٢٠٠٠، كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، باب: وأمّا حديث رافع بن خديج، الحديث صحيح.

(٢) ذكره الواحديّ في أسباب نزول القرآن، ج١، ص٥٥.

(٣) ذكره أبو حيّان في تفسير البحر المحيط، باب: سورة البقرة، ج٢، ص٦٢.